شرح كتاب الكبائر

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/١١/٢٩ هـ

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله ؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومنْ يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّدا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم لا علم لنا إلا ما علَّمتنا ، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وزدنا علمًا وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . أما بعد :

فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان ليكون عبدًا لله جل وعلا ، مؤتمرًا بأمره ، منتهيًا عما نهى الله تبارك وتعالى عنه ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] ، ولا تكون هذه العبودية إلا بالخضوع لله والذلِّ بين يديه جل في علاه ، وبطاعته سبحانه وتعالى بامتثال أمره والانتهاء عما نهى عنه تبارك وتعالى . والله عز وجل حكيمٌ عليم ؛ لا يأمر عباده إلا بما فيه خيرٌ وفلاحٌ وسعادة لهم في الدنيا والآخرة ، ولا ينهاهم تبارك وتعالى إلا عما فيه شرٌ وضُرٌ عليهم في الدنيا والآخرة . والعاقل من يجاهد نفسه في هذه الحياة على طاعة الله تبارك وتعالى وحسن التقرب إليه ، والله يقول : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

وإنَّ من المتأكد على المسلم الحريص على سعادة نفسه في الدنيا والآخرة ؛ أن يحرص على طاعة الله عز وجل فعلًا للأوامر وتركًا للنواهي ، وكل ذلك طاعةٌ لله ، وكله داخلٌ في الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، لأن الإيمان كما أنه يشمل فِعل الأوامر فإنه كذلك يشمل ترك النواهي ، وكما أن فِعل ما أمر الله سبحانه وتعالى به إيمان فإن ترك ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه إيمان ، وكما أنه يُتقرب إلى الله جل وعلا بفعل أوامره فإنه كذلك يُتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالبعد عما نهى عنه . ولهذا فإن العلماء رحمهم الله تعالى كما أنهم قد ألَّفوا كتبًا ومؤلفات نافعة في بيان أعمال الإيمان التي يُطلب من المسلم فعلها والقيام بها والمواظبة عليها فإنهم كذلك في الوقت نفسه كتبوا كتبًا في بيان ما نهى الله عنه ، لأن المسلم كما أنه مطالبٌ بالعلم بما أمر الله به ليعمله فهو كذلك مطالبٌ بالعلم بما نهى الله عنه ليجتنبه، وإنَّ من لا يعرف ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه كيف يتحقق منه الاجتناب والابتعاد وهو لا يعلم !! و«كيف يتَّقي مَن لا يدري ما يتَّقي!؟» ، كيف يجتنب الذنوب من لا يعرفها ولا يعرف خطرها ولا يعرف سوء مغبتها ومضرتها على صاحبها في الدنيا والآخرة !!

ومن هنا كتب غير واحد من أهل العلم كتبًا في الكبائر وبيانها ، ولاشك أن المسلم مطلوبٌ منه أن يعرف الكبائر معرفةً يقصد بها اجتناب الكبائر والبُعد عنها ، إذ كيف يجتنبها وهو لا يعرفها ولا يعرف خطرها؟! وهل استمرأ كثير من الناس الكبائر وأوغلوا فيها وارتكبوها واقترفوها إلا بسبب عدم العناية بهذا العلم العظيم؟! العلم الشريف المبارك؛ وهو معرفة الكبائر بقصد اجتنابها والحذر منها والبعد عن اقترافها .

ولا شك أن اجتناب الكبائر بوابة عظيمة لصلاح الأمور، واستقامة الأحوال، والفوز برضا الله سبحانه وتعالى والمُدخل الكريم يوم يلقى العبد ربه جل وعلا ، ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[النساء:٣١] ؛ فانظر هذا الأثر العظيم المبارك المترتب على معرفة الكبائر واجتنابها والبعد عنها طاعةً الله سبحانه وتعالى وتقربًا إليه جلّ في علاه.

وقد دلّت نصوص الشرع –نصوص كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه– أن الذنوب على قسمين:

❖ قسم كبائر ؛ بهذا وُصفت في كتاب الله وفي سنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

❖ وذنوب صغائر ؛ وهي دون الكبائر.

والكبيرة جاء ذكرها في كتاب الله في آيات عديدة، في مثل قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء:٣١]، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[القمر: ٥٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وجاء أيضًا ذكرها في سنة النبي صلوات الله وسلامه عليه. وسيمُرُّ علينا جملة من النصوص والأدلة –أدلة الكتاب والسنة– في ذكر ذلك وبيانه ، وسيأتي أيضًا الكلام في بيان الفرق بين الكبيرة والصغيرة ، وكيف يميّز المسلم بين كبائر الذنوب وصغائرها وما يترتب على ذلك ، ولا شك أن هذا بابٌ عظيم للغاية من أبواب العلم يحتاج إليه كل مسلم.

وكما أشرت العلماء رحمهم الله تعالى كتبوا في الكبائر كتبًا نافعة، ومن هذه الكتب «كتاب الكبائر» للإمام الذهبي رحمه الله تعالى، وهو كتاب عظيم جدًا في بابه ، وسبق أن جلسنا مجالس في مدارسة هذا الكتاب؛ كتاب الإمام الذهبي رحمه الله «الكبائر» وهو كتاب عظيم جدًا، ويُنصح باقتنائه والاستفادة منه، وينصح أيضًا بإهدائه للأولاد والشباب والبنات، وحثهم على قراءته ؛ حتى ينشأ على معرفة بهذه الآثام وخطرها فيكون على حذر منها، أما إذا نشأ الشاب نشأةً لا يعرف هذه الذنوب ولا يعرف خطرها، وفي الوقت نفسه دواعي هذه الذنوب في هذا الزمان كثيرة جدًا وأبواب الشرّ كثيرة جدًا، فإذا لم ينشأ الشاب نشأةً فيها تحصُّن بالعلم الشرعي والمعرفة بهذه الأمور وبهذه الذنوب وخطورتها فإنه ينشأ نشأةً فيها خطورة عليه من هذه الذنوب ، لكنه إن نشأ متعلمًا متفقهًا متبصرًا في دين الله فإنّ العلم الذي حصَّله بإذن الله تبارك وتعالى يحجزه عن هذه الذنوب ويقيه منها بفضلٍ من الله سبحانه وتعالى ومَنّ ؛ وهذا هو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)) ؛ لأن العلم يضيء لصاحبه طريقه، وينير له سبيله، ويَميز به بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وموجبات رضا الله سبحانه وتعالى وموجبات سخطه سبحانه وتعالى.

كذلكم من الكتب العظيمة في هذا الباب : «كتاب الكبائر» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وهو كتابٌ عظيم جدًا في بابه، وجمعه رحمه الله جمعًا دقيقًا ورتبه ترتيبًا دقيقًا نافعًا جدًا لطالب العلم . وطريقة الشيخ رحمه الله في عموم مؤلفاته ومصنفاته معروفة ، وذلك بعظيم عنايته بالأدلة –كلام الله تبارك وتعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم– وحسن جمعه لها وترتيبها وتبويبها، وبيان ما يستفاد منها من المعاني العظيمة

والدلائل المباركة. وهذا الكتاب «كتاب الكبائر» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى هو من جملة الكتب التي أُلِّفت في هذا الباب، ويُنصح بالعناية به والإفادة من مضامينه العظيمة.

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يفقهنا أجمعين في دينه ، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يصلح لنا شأننا كله ، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيما ، وأن لا يكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر :

بسم الله الرحمن الرحيم .كتاب الكبائر وقول الله تعالى ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ... ﴾ الآية [النساء: ٣١] ، **وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ الآية** [النجم: ٣٢]. **روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب». وله عنه قال: «هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار». ولعبد الرزاق عنه: «هي إلى سبعين أقرب منها إلى السبع».**

****

قال رحمه الله تعالى: **وقول الله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾**؛

بدأ رحمه الله هذا الكتاب المبارك بسوْق بعض الآيات من كتاب الله جلّ وعلا في بيان أنّ الذنوب منها ذنوب وُصفت بأنها كبائر في غير ما آية من كتاب الله ، ولا شك أن وصفها بهذه الصفة دليل على خطورتها وعِظم مضرتها وسوء عاقبتها على فعلها ، فهي ذنوبٌ وصفها ربّ العالمين بأنها كبائر ، عظائم ، شنائع ، كبيرة، مما يدل على خطورة هذه الذنوب، وهذا يتطلَّب معرفة بهذه الذنوب معرفةً يُقصد بها تجنب هذه الذنوب والبعد عنها وعدم الوقوع في شيء منها.

والله سبحانه وتعالى في هذه الآية والآيات التي جاءت في هذا الباب وساق المصنف رحمه الله تعالى شيئًا منها أمر عباده باجتناب الكبائر، في هذه الآية قال: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ ؛ فأمر باجتناب الكبائر وخصّ الكبائر بذلك، وهذا أيضًا يدل على خطورة الكبائر على العبد ، وعظم مضرتها على فاعلها في دنياه وأخراه، وأنَّ الواجب على العبد المسلم أن يجتنب الكبائر وأن يحذر منها. وهذا الأمر باجتناب الكبائر جاء في نصوص كثيرة في الكتاب والسنة ؛ النبي عليه الصلاة والسلام صح عنه أنه قال: ((اجتنبوا السبع الموبقات)) ، والاجتناب : يعني بُعد الإنسان عما نُهي عنه، بحيث يكون هذا الذي نُهي العبد عنه في جانب بعيد عن الإنسان، لا يقتربه ولا يحوم حول حماه، ويكون بعيدًا كلَّ البعد عن الوقوع فيه، «اجتنبوا» : يعني اجعلوا هذه الكبائر في جانب بعيد عنكم ، اجعلوها في جانب بعيد لا تقربوها، إياكم وفعلها واقترافها ، وكونوا على حذر من ذلك.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾؛ تُنْهَوْنَ عَنْهُ : أي ينهاكم عنه ربّ العالمين سبحانه وتعالى في كتابه، وينهاكم عنه رسوله صلوات الله وسلامه عليه . وهذه الآية جاءت في سورة النساء في أوائلها، وقبل هذه الآية من بدء السورة في سورة النساء نهى الله جلّ وعلا عن جملة كبيرة من الأمور ، ولهذا جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «كل ما نهى الله عنه من أول هذه السورة –أي سورة النساء– إلى قوله ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ فهو كبيرة» . وهذا ليس حصرًا للكبائر في ما ذُكر في هذا الموضع، وإنما بيان أن هذه النواهي التي جاء ذكرها في هذه السورة من أولها إلى هذه الآية ثم خُتم ذلكم السياق بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ دالٌ على أن ما ذُكر قبلها من النواهي فهو من الكبائر وداخل في جملة الكبائر. وسيأتي ضابط أهل العلم فيما تُعرف به الكبيرة وتُميَّز به الكبيرة عن الصغيرة.

قال: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وهذا فيه ذِكر ثمرةٍ عظيمة من ثمار اجتناب الكبائر والبُعد عنها ؛ أن من ثمرة ذلك تكفير السيئات أي فيما دون الكبائر، لأن الكبائر اجتُنبت وابتعد عنها العبد ، فكانت الثمرة تكفير السيئات أي التي هي دون الكبائر، وهي صغائر الذنوب.

وصغائر الذنوب يكفِّرها فعل الطاعات، ويكفِّرها كذلك اجتناب الكبائر، لأن اجتناب الكبائر معدودٌ في الطاعات، من جملة الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى اجتناب الكبائر والبعد عنها ، فهذا الاجتناب والبعد عن الكبائر هو معدودٌ في جملة الطاعات وفي جملة القربات التي يتقرب العبد إلى الله سبحانه وتعالى بها ، فتكون مكفِّرة للسيئات ، مثلما أن الصلاة مكفِّرة ، مثلما أن الصيام مكفِّر، مثلما أن الحج أيضا مكفر، ((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)) ، ((مَنْ حَجَّ لِلهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)) ، كما أن هذه الطاعات العظيمة مكفِّرة فإن طاعة اجتناب الكبائر مكفرة للذنوب، مكفرة للسيئات. وابن آدم خطَّاء وكثير الأخطاء ، كثير التقصير، ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ)) ، فهذه الطاعات الحسنات العظيمة مكفرة لسيئاته ، ولهذا قال الله جلّ وعلا: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[هود: ١١٤] ، من جملة الحسنات التي تُذهب السيئات حسنة اجتناب الكبيرة ، هذه حسنة عظيمة جدًا ، أرأيتم شخصًا يعرِض له باب من أبواب الفتنة، تعرِض له مثلا امرأة ذات حُسن وجمال تدعوه إلى نفسها تغريه، فيترك ذلك خوفًا من الله، يترك ذلك خشيةً لله، يترك ذلك بُعدًا عن سخط الله سبحانه وتعالى ، كم هي من حسنة عظيمة دالة على أن قلب هذا الإنسان فيه خشية لله وخوف من الله ومراقبة لله سبحانه وتعالى ، فتجنَّب الذنب خوفًا من ربّه وطلبًا لرضاه سبحانه وتعالى ، فلا شك أن هذه حسنة عظيمة قام بها العبد ، ولهذا كانت مثل هذه الحسنات من أعظم الوسائل في التقرب إلى الله سبحانه وتعالى. وقصة الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة في الغار ؛ أحدهم توسل إلى الله سبحانه وتعالى باجتنابه لفاحشة الزنا بعد أن كانت نفسه مولعة بذلك وحريصة على ذلك ، لكن المرأة التي كان مولعًا بها وعظته وخوَّفته بالله وقالت له كلمة عظيمة: «اتق الله، ولا

تفض الخاتم إلا بحقه» فقام بعد أن جلس على شعبها الأربع، قام تقوى لله سبحانه وتعالى . فلا شك أن هذه حسنة عظيمة؛ اجتناب الكبائر خوفًا من الله وطلبًا لرضاه سبحانه وتعالى لاشك أنها حسنة عظيمة ، ويترتب عليها ما يترتب على غيرها من الحسنات من تكفير السيئات ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .

قال: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾؛ والمدخل الكريم يتناول الفوز برضا الله سبحانه وتعالى عن عبده، ويتناول أيضًا الفوز بالدخول بجنته والنجاة من سخطه جلّ وعلا؛ فكل ذلكم يتناوله قوله جلّ في علاه: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ ، ولهذا اجتناب الكبائر من ثماره العظيمة وآثاره على العبد في دنياه وأخراه أنه يفوز بالمدخل الكريم . ومما يتناوله أيضًا المعنى هنا ما يقع للعبد باجتنابه للكبائر من انشراح الصدر وراحة البال وهناءة العين والبركة في الرزق والحياة ؛ هذا كله داخل، والله يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾هذا في الدنيا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النحل: ٩٧] أي يوم القيامة، يوم يلقون الله جلّ وعلا. ولهذا ينبغي أن يُعلم أن اجتناب الكبائر طاعةً الله سبحانه وتعالى له آثارٌ مباركة وعوائد حميدة على العبد في الدنيا، إضافةً إلى ما أعدَّه الله سبحانه وتعالى له يوم القيامة من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، والمدخل الكريم.

قال رحمه الله تعالى: ((**وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾**))

﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ وهذا أيضًا مقام فيه الحث والحض على اجتناب الكبائر والبُعد عنها ؛ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾: أي كبائر الذنوب مما نهى الله سبحانه وتعالى عنه، ونهى عنه رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ أي ما فَحُش من الذنوب سواءً القولية أو الفعلية ، ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ اللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ وَلاَ البَذِيءِ)) ، والفواحش يطلق هذا الوصف على الذنوب التي تناهت في فحشها وقُبحها وسوءها.

﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ واللم : هو صغار الذنوب ، وسيأتي الضابط الذي يُعرف به الفرق بين الذنوب كبيرها وصغيرها.

قال رحمه الله تعالى: ((**روى ابن جرير**)) أي الطبري رحمه الله تعالى ، في كتابه التفسير.

((**عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «الكبائر :كل ذنب ختمه الله بنارٍ أو لعنةٍ أو غضبٍ أو عذاب»**)) ؛ وهذا التعريف للكبيرة من أحسن ما عُرِّفت به، وذُكر ضابطًا لمعرفتها ، وهذا الضابط الذي ذكره الصحابي الجليل ابن عباس رضي الله عنهما ضابطٌ بذكر العلامة التي تُعرف به الكبيرة. فإذا عُرفت الكبيرة بعلامتها سواءً ما ترتب عليها من حد أو عقوبة في الدنيا، أو ما ترتب عليها من عقوبة في الآخرة ، إذا عُرفت الكبيرة بعلامتها فإنَّ ما

دون ذلك هو الصغيرة ؛ ولهذا قال غير واحدٍ في ذكر تعريف الصغيرة : «هي ما دون الحدّين» ؛ أي ما دون ما جاء فيه عقوبة في الدنيا أو عقوبة في الآخرة، من لعن أو غضب أو سخط أو غير ذلك من العلامات التي تدل على أن الأمر كبير.

قال: «**الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار**» ؛ ذِكره للختم هنا على اعتبار أنه الغالب ، لكن لو قُدِّم اللعن على ذكر الذنب فإنه يتناوله كذلك ، ولهذا تأتي نصوص كثيرة في السنّة: ((لعن الله من فعل كذا)) لم يُختم النص باللعن، ولكنه من الكبائر، فذِكره للختم على اعتبار أن الغالب في نصوص القرآن تذكر العقوبات بعد ذكر الذنوب والآثام، فتُذكر ثم يُذكر ما يترتب عليها من عقوبة.

قال: «**ختمَه الله بنارٍ أو لعنةٍ أو غضبٍ أو عذاب**» ؛ ختمه الله بنار : أي تهدد فاعله بإدخاله النار ، أو ذكر غضبه سبحانه وتعالى على فاعله ، أو لعن فاعله سبحانه وتعالى تهدده بالعذاب. هذا كله علامات تُعرف بها الكبيرة؛ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾[النساء: ٩٣] . فالذنب الذي يُختم بمثل ذلك ؛ بذكر العذاب أو ذِكر الغضب أو ذِكر اللعنة أو ذِكر الوعيد فهذا كله من العلامات التي تُعرف بها الكبيرة.

كذلكم ذكر العلماء رحمهم الله تعالى مضافًا إلى ذلك مما يفيد أن ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكر هذه الأمور الأربعة حاصرًا لمعرفة الكبيرة بها –التي هي اللعنة والغضب والنار والعذاب– لم يذكر ذلك على سبيل الحصر وإنما هذه علامات تُعرف بها الكبيرة، فما كان من هذه الأمور أو من قبيلها مثلها فإنه علامة ودليل على الكبيرة.

ومما يدخل في الكبائر : ما جاء في السنّة من نفي الإيمان عن فاعله ، هذا دليل على أنه كبيرة ، فمثلا قول النبي عليه الصلاة والسلام: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)) ؛ فهذا النفي للإيمان عمن شرب الخمر عمن زنا دليلٌ على أنّ هذا الذي نُفي عن فاعله الإيمان من كبائر الذنوب وعظائم الآثام ، ولهذا استحق أن يُنفى عنه الإيمان، وهذا له نظائر كثيرة يُنفى الإيمان. ونفي الإيمان لا يكون إلا في الأمور الكبيرة، لا يكون في ترك المستحبات أو فعل المكروهات ، وإنما يكون نفي الإيمان إما في ترك واجب أو في فعل محرم من كبائر الذنوب ، وهذه قاعدة معروفة عند أهل العلم «أن نفي الإيمان لا يكون إلا على ترك واجب أو فعل محرم». ولهذا نفي الإيمان في مثل قوله: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ)) نفي الإيمان هنا نفيٌ لكمال الإيمان الواجب ، وليس نفيًا لكماله المستحب، لأن الإيمان إيمانان: إيمان واجب ، وإيمان مستحب ؛ فالنفي هنا نفي للإيمان الواجب، نُفي عنه الإيمان الذي أوجبه الله عليه، لأن الله أوجب عليه البُعد عن هذه الكبائر، وأوجب عليه فعل تلك الواجبات والطاعات ، فلا يأتي نفي الإيمان في النصوص وأحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إلا في ترك واجبٍ أوجبه الله على عباده، أو في فعل محرم مما حرمه الله سبحانه وتعالى على عباده.

كذلك مما تُعرف به الكبيرة : ما جاء في النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس منا من فعل كذا»، ((مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)) ؛ فما يأتي فيه هذا هو من قبيل نفي الإيمان «ليس منا» ، ليس المراد بقوله «ليس منا» أي أنه كافر كما يعتقده الخوارج ، وليس المراد به أيضًا «ليس منا» أي ليس من خيارنا كما هو فهم المرجئة، وإنما الحق قوام بين ذلك ، فالذي يفعل هذ الأمور ارتكب كبيرةً عظيمة وذنبًا عظيمًا استحق به أن يقال في حق من فعل ذلك «ليس منا» ؛ أي ليس على الهدي المرضي والجادَّة المستقيمة هدي النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه وهدي صحابته الكرام؛ من فعل ما أوجب الله والبعد عما يسخطه جلّ في علاه.

قال: «**وله**» أي ابن جرير «**عنه**» أي ابن عباس «**قال: هي** -أي الكبائر- **إلى سبعمائة أقرب منها إلى السبع**».

جاء في الحديث: ((اجتنبوا السبع الموبقات)) وذُكر في الحديث ذنوب هي من أكبر الكبائر وأعظمها، لكن لم يكن الحديث حاصرًا للكبائر في هذا العدد . فإذًا مراد ابن عباس رضي الله عنهما التنبيه على ذلك ، ليست الذنوب محصورة في السبع التي جاءت في الحديث ((اجتنبوا السبع الموبقات)) بل هي كثيرة، ولهذا اختار الرقم هذا الذي هو سبعمائة، ما قال "أربعمائة" مثلاً، ولا قال "ثلاثمائة" أو ستمائة". قال: «**هي إلى سبعمائة أقرب**» ؛ لماذا ؟ لأن العرب من عادتهم استعمال هذا العدد للتكثير ، لا يراد به العدد نفسه وإنما يريدون به التكثير، إذا أرادوا أن يكثِّروا في باب العشرات قالوا: "سبعين" ، فيفهم من قولهم "سبعين" أنه كثير ، يعني مثلاً قرابة الثمانين قرابة التسعين قرابة الستين، كثير ، لكنه يعطي هذا اللفظ دلالة على كثرته في العشرات . إن كان كثرة مئات يكون: "سبعمائة" ، لا يريدون بذلك العدد نفسه السبعمائة، وإنما يريدون أن كثرته بهذا الوصف ، إن كان في باب المئات قال: "سبعمائة"، وإن كان في باب العشرات قال: "سبعين" ، فيستعملون هذا العدد للتكثير، ولا يراد به العدد عينه أو العدد نفسه.

فإذًا قوله رضي الله عنه: «**هي إلى سبعمائة أقرب**» أن الكبائر كثيرة جدًا، لا أنها بهذا العدد تحديدًا.

قال: «**غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار**» أي أن من يقع في الكبيرة ويندم ويستغفر ربه جلّ وعلا ويتوب إليه لا تبقى كبيرة ، تُمحى ، يتوب الله عليه ، والله سبحانه وتعالى غفور رحيم ، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات. فقوله: «**لا كبيرة مع الاستغفار**» أي أنها بالاستغفار والتوبة وصدق الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى تُمحى ولا تبقى.

«**ولا صغيرة مع الإصرار**» ؛ الصغيرة عندما يصرّ عليها فاعلها ويداوم عليها ويواظب على فعلها تتحول به إلى كبيرة، لأن الإصرار على الصغائر يجرّ الإنسان إلى ما هو أعظم من ذلك ، لأنه يضعف فيه الخوف والمراقبة لله سبحانه وتعالى فيجره إلى ذلك . ولهذا الإنسان لا يتهاون في الصغائر ويستمرئها لأنها بريدٌ لما بعدها، وتجر إلى ما

وراءها، فلا يتهاون بها ويقول: هذه صغيرة والأمر ليس فيها مشكل ، ويداوم عليها ويواظب عليها ؛ فإنها تجره إلى ما وراءها. ولهذا انظر في الآية الكريمة ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[النور: ٣٠] قدّم غض البصر على حفظ الفرج؛ لأن إطلاق البصر يفضي إلى عدم إحصان الفرج ، يجرّ إلى ما وراءه ، ولما نهى الله سبحانه وتعالى عن الزنا قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾[الإسراء: ٣٢] ، لم يقل: لا تزنوا ، قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ ؛ لأن النهي عن الزنا نهي عنه وعن كل الأسباب التي تفضي إليه وتؤدي بالإنسان إلى فعله.

قال: «**ولعبد الرزاق**» أي الصنعاني صاحب المصنف رحمه الله تعالى ، وله أيضًا كتابٌ في التفسير ، ولعل النقل عن تفسيره «تفسير الصنعاني».

«**ولعبد الرزاق عنه** » أي عن ابن عباس «**هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع**» ؛ وأيضًا العدد هنا كما تقدم المراد به التكثير. وعدد من أهل العلم اعتمدوا ذلك ، قول ابن عباس «هي إلى السبعين أقرب» ؛ فجمعوا في الكبائر سبعين كبيرة، ومن هؤلاء الذهبي رحمه الله في كتابه "الكبائر" جمع فيه سبعين كبيرة.

فالشاهد أن العدد هنا ليس عددًا حاصرًا ، ومن جمع السبعين لعله جمعه باعتبار هذا العدد الذي ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وإن لم يكن حاصرًا للكبيرة في هذا العدد، أي أنها لا تزيد عن السبعين ولا تنقص ، هذا ليس مرادًا من كلامه رضي الله عنه ، وإنما المراد أنها كثيرة ومتعددة. وإذا قيل: إن هذا القول «سبعين» والأول «سبعمائة» يمكن أن يُجمع بينهما: أن الكبيرة الواحدة قد يتفرع منها كبائر هي من جنسها، هي من جنس هذه الكبيرة، فيكون سبعين باعتبار الأصول، والسبعمائة باعتبار ما يتفرع عنها.

وأحيل إلى مرجعين مهمين جدًا للغاية في باب التفريق بين الكبيرة والصغيرة:

- الأول : كتاب «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى المجلد الحادي عشر الصفحة ٦٥٠ وما بعدها.
- والمرجع الثاني : كتاب «مدارج السالكين» للإمام ابن القيم رحمه الله، المجلد الأول ، الصفحة ٣٢١ وما بعدها.

فإن هذين الموضعين فيهما من التقرير المتين والبيان البيّن في الفرق بين الكبيرة والصغير ما لا تجده في موضع آخر. ويمكن أيضًا أن يضاف إلى ذلك مقدمة كتاب «الكبائر» للذهبي رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ أكبر الكبائر

١ – في الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟)) قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ((الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئًا فجلس فقال : ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور)) ، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت .

****

قال رحمه الله تعالى: «**بابٌ أكبر الكبائر**» ؛ وهذا الباب البدء به وتقديمه في أوائل هذا الكتاب في غاية المناسبة ، لأن من المهم جدًا والمفيد أن يُبدأ أول ما يُبدأ بأكبر الكبائر وأعظم الذنوب .

قال: «**بابٌ أكبر الكبائر**» وهذا يستفاد منه أن الكبائر ليست على مستوى واحد ولا على قدر واحد، بل متفاوتة، كلها توصف بأنها كبائر لكنها بعضها أكبر من بعض، وبعضها أعظم من بعض ، ولهذا جاء في الحديث الذي ساقه المصنف: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)) ؛ إذًا الكبائر هي نفسها متفاوتة ، بعضها أكبر من بعض ، بل إن الكبيرة الواحدة تعظم ويزداد عظمها بحسب أيضًا ما يقترن بها ويحتف بها ، على سبيل المثال : كبيرة الزنا، إذا كانت هذه الكبيرة مثلاً في شهرٍ حرام، أو كانت مثلًا في بلدٍ حرام، أو كانت مثلاً في حالٍ فاضلة، أو كانت مثلاً بذوي المحارم أو غير ذلك ؛ فإن الجرم في ذلك يعظم، أو بجليلة الجار ، نص على ذلك في الحديث ولعله سيأتي عند المصنف، فبما يحتف بها أيضًا تعظم ، الكبيرة الواحدة تعظم بحسب أيضًا بما يحتف بها من زمان أو مكان أو حال أو نحو ذلك.

قال: ((**في الصحيحين عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**)) ؛ «ألا» : أداة استفتاح وتنبيه، يؤتى بها بين يدي المسائل المهمة العظيمة التي يحتاج إلى أن يتنبَّه المتلقي والسامع ويتيقظ ، «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثم هذه الطريقة العظيمة في التعليم هي طريقة فيها تشويق وتنبيه وتهيئة للسامع ليتحقق بحسن الاستفادة والانتفاع مما يُلقى إليه. ((**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**))

((**قلنا بلى يا رسول الله**)) أي: نبئنا وأخبرنا بأكبر الكبائر.

هنا فائدة سبق التنبيه عليها، لكن من باب التأكيد ؛ ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟)) ألا أخبركم بالكبائر؟ هذا يفيد أن الكبائر موضع من المواضع التي هي للتعليم ، تُعقد مجالس ودروس من أجل أن يتعلم الناس الكبائر ، أليس كذلك؟ من المواطن التي تُعقد لها مجالس ودروس ويُحث الناس وتُهيأ الأذهان من أجل أن يتعلموا الكبائر.

((**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**)) لماذا نتعلم الكبائر؟ لماذا تُعقد دروس لمعرفة الكبائر؟ لأننا بحاجة ماسة إلى أن نعرفها من أجل أن نجتنبها ، أن نتَّقيها ، أن ندرك خطورتها، لأن من لا يعرف الكبيرة ولا يعرف خطورتها كيف يجتنبها!! كما قيل: "كيف يتقي من لا يدري ما يتقي!!" كيف يتقي الذنوب وهو لا يعرف الذنوب ولا يعرف خطورتها.

إذًا قول النبي عليه الصلاة والسلام: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟)) هذا يدل على أن هذا الباب –باب عِلم الكبائر– باب من أبواب العلم العظيمة التي ينبغي أن تُعقد لها مجالس، وأن تُكتب أيضًا فيها مؤلفات، وأن تُلقى فيها دروس، وأن تبيَّن أيضا من خلال المنابر وخطب الجمعة وغير ذلك؛ لأن الناس يحتاجون حاجة ماسة إلى معرفتها من أجل اتقائها واجتنابها والبُعد عن الوقوع فيها.

((**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**)) ؛ قوله: «أكبر الكبائر» فيه ما تقدم ؛ أن الكبائر متفاوتة وبعضها أكبر من بعض.

((**قلنا: بلى يا رسول الله**)) ؛ وهذا أيضًا فيه حرص الصحابة رضي الله عنهم الشديد على العلم والخير وإقبالهم على الهدى.

((**قال: الإشراك بالله**)) ؛ وهذا أكبر الكبائر على الإطلاق وأعظم الذنوب ؛ الإشراك بالله سبحانه وتعالى .

والإشراك بالله : هو أن يُجعل مع الله ند ، أن يُجعل مع الله شريك، أن يُجعل مع الله نديد.

((**قال: الإشراك بالله**)) ؛ والشرك : هو التسوية ؛ تسوية غير الله بالله في شيء من حقوقه أو شيء من خصائصه سبحانه وتعالى. حقوقه: العبادة . خصائصه: أوصاف الكمال ونعوت الجلال المختصة به جلّ في علاه. فمن سوَّى الله غير الله بالله في شيء من ذلك فقد أشرك بالله ووقع في أعظم ذنب وأكبر جُرم . وعندما لا يدرك الناس خطورة الشرك ولا يعي أيضا الناس حقيقة الشرك ربما أنك تجد في بعض الناس من يتورع عن بعض الصغائر ويعيش حياته متجنبًا لها وهو يوميًا يقع في الشرك بالله الذي هو أعظم الذنوب! استغاثةً بغير الله، والتجاءً إلى غير الله، وطلبًا للمدد من غير الله، وتجده يرفع يديه ويمدها لغير الله ، "مدد يا فلان، أغثنا يا فلان، أدركنا يا فلان، أنا عائذ بك يا فلان" إلى غير ذلك. وهذا كله من الخلل في فقه الذنوب ، تجده يتورع عن أمور هي من الصغائر ، والتورع عنها محمود، ويقع في أعظم الذنوب وأخطرها وأشدها على الإطلاق وهو الإشراك بالله سبحانه وتعالى.

فإذًا عندما يتعلم الإنسان هذا العلم –علم الكبائر– يأتي في الدرجة الأولى في أهمية تعلّمه ومعرفته وإدراك خطورته: كبيرة الشرك بالله سبحانه وتعالى التي هي أكبر الكبائر على الإطلاق. ولهذا تجد في القرآن وكذلك في السنّة عندما تعدَّد الكبائر في الآيات الكريمة أو في الأحاديث الشريفة عن الرسول عليه الصلاة والسلام أول ما يُبدأ به الشرك بالله؛ يعني انظر على سبيل المثال في سورة الإسراء ؛ لما أخذ جلّ وعلا يذكر ويحذِّر عباده من جملة من الأمور والذنوب والعظائم أول ما بدأ بالشرك، قال جلّ في علاه: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢] ثم بعدها جاء قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] ، قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ [الإسراء: ٣٢] ، قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣] ، قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٣٤] ، قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] ، قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧]؛ نواهي كثيرة جاءت في هذا السياق لكنها بُدئت بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ . وأيضًا خُتمت بالتحذير من الشرك: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ

مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾[الإسراء: ٣٨ – ٣٩] ؛ فصُدِّرت بالنهي عن الشرك، وأيضًا خُتمت بالنهي عنه.

وهكذا تجد أيضًا في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ عندما تُذكر النواهي تُبدأ بالشرك، ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)) بدأ بالشرك ، ((اجتنبوا السبع الموبقات)) بدأ بالشرك.

في القرآن الكريم: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾[الفرقان:٦٨] بدأ بالشرك . لأن الشرك بالله سبحانه وتعالى هو أكبر الكبائر وأعظم الذنوب وأخطرها على الإطلاق؛ ولهذا بدأ به عليه الصلاة والسلام، قال: ((**الإشراك بالله**)) .

((**وعقوق الوالدين**)) ؛ ذكر عقوق الوالدين بعد كبيرة الشرك التي هي أكبر الكبائر؛ وهذا فيه دلالة على عِظم حق الوالدين ، وكما أنه قُرن عقوق الوالدين في هذا الحديث بالإشراك بالله ، فإنه قد قُرن حق الوالدين بحق الله في أكثر من آية من القرآن ، مثل قول الله عزّ وجل : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[الإسراء:٢٣] ، ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[الأنعام: ١٥١] ، ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[النساء: ٣٦] ، ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾[لقمان: ١٤] ؛ ففي أكثر من آية قرن الله سبحانه وتعالى بين حق الوالدين مع حقه سبحانه وتعالى ، مما يدل على عظم مقام الوالدين وعظم حق الوالدين، وخطورة عقوق الوالدين . وفي هذا الحديث قرن النبي صلى الله عليه وسلم عقوق الوالدين بالإشراك، قال: ((**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**)) ؛ الإشراك بالله فيه تضييع لحق الله على عباده وهو إخلاص الدين له وإفراده جلّ وعلا بالعبادة، وعقوق الوالدين تضييعٌ لحق من لهما أكبر الحق عليك بالبرّ والإحسان والطاعة والعمل على القيام بالحقوق والبُعد عن كل ما يؤذيهما ويُلحق الأذى بهما.

فحق الوالدين حق عظيم ، وهو مقدَّم على الآخَرين غيرهما من الناس ؛ ولهذا من جميل صنيع الإمام البخاري رحمه الله في كتابه «الأدب المفرد» وهو كتابٌ ساقه في ذكر الآداب المأثورة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو كتاب يقع في مجلد كبير ؛ أول باب تجده في هذا الكتاب «باب بر الوالدين» ، وكأنه يقول رحمه الله تعالى : اقرأ هذه الآداب كاملة واعلم أن أحق الناس بها وأولاهم بها الوالدين ؛ لعظم حق الوالدين وعظم مكانة الوالدين. كثير من الناس تجده يحسن الحديث مع إخوانه أصدقائه زملائه ينتقي لهم أطيب الكلام وأحسنه، لكنه في مثل ذلك لا يكون مع والديه ، ناهيك عن التضييع لحقوق الوالدين العظيمة.

ففي هذا الحديث قرن عقوق الوالدين بالإشراك بالله سبحانه وتعالى ؛ مما يدل على خطورة العقوق.

قال: ((**وكان متكئًا فجلس**)) يستفاد منه جواز بيان العلم مع الاتكاء ، لا حرج في ذلك ؛ أن يبين شيئًا من مسائل العلم وهو متكئ.

((وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور. فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت)) ؛ أشفق الصحابة رضي الله عنهم من تكرار النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الكلمة: ((ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور)) يكررها صلوات الله وسلامه عليه تكرارًا يُقصد منه التحذير والتنبيه. فكان متكئًا فجلس وأخذ يردد صلوات الله وسلامه عليه ((ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور)) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .

وقول الزور : هو قول الكذب والبهتان والافتراء ، ولاسيما ما يُقتطع به حقوق الناس وأموالهم ويُعتدى فيه على حقوقهم . فشهادة الزور من أخطر ما يكون في أبواب التعديات على الناس ؛ لأن شهادة الزور تقلب الأمور وتضع الأمور في غير مواضعها، وتجد صاحب الحق يُظلم ويُهضم، والمبطِل يأخذ ما ليس له بحق ، فيحصل بشهادة الزور من الظلم والتعدي والبهتان ما هو أمر خطير جدًا .

وهذا الحديث قُرنت فيه شهادة الزور أيضًا بالشرك ، لأنها جُمعت معه في الحديث. وجاء في حديث آخر عن نبينا عليه الصلاة والسلام –وهو في المسند وغيره– أنه قال: ((عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالإِشْرَاكِ بِاللَّهِ)) ثم تلا عليه الصلاة والسلام قول الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج:٣٠] ؛ فقُرن قول الزور بالإشراك بالله سبحانه وتعالى ، مما يدل على خطورة قول الزور وخطورة شهادة الزور ، لما يترتب عليه من المضار العظيمة والمآلات الوخيمة.

لعلنا نكتفي بهذا القدر، ونسأل الله الكريم أن ينفعنا أجمعين بما علّمنا، وأن يزيدنا علمًا، وأن يصلح لنا شأننا كله، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه تبارك وتعالى غفور رحيم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.